

البحث التاريخي في الآثار القديمة خلال الفترة الكولونيلية

د/عبد الحميد عمران 

قسم التاريخ - جامعة مسيلة

مقدمة

عرفت الجزائر خلال مسارها التاريخي تعاقب عديد الحضارات منذ عصور ما قبل التاريخ والتي خلفت إرثا حضاريا بقي أغلبه مهملا ودون مساس حتى بدايات الاحتلال الفرنسي الذي صاحبه عديد الأبحاث والدراسات والتنقيبات من قبل مهتمين ودارسين وهواة للبحث في هذا التراث المتنوع .علي غرار ما قام به غابريال كامبس وبالو وجزال وفيفريه وغيرهم..

في مداخلتي أحاول رصد أعمال الباحث "طولوت"، في مجال البحث التاريخي للفترة المسيحية الرومانية ومدى مساهمتها في كشف الموروث الحضاري المسيحي..الذي درسته وأيضا مدى استفادة الدارسين والباحثين الجزائريين منه .

يعد "طولوت أناتول" Toulotte_Anatole (1852-1907) أسقفا لأسقفية طاغست في ظل الاحتلال الفرنسي لشمال أفريقيا دفعته وظيفته إلى البحث في التاريخ المسيحي لشمال أفريقيا خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية معتمدا بالخصوص على رحلاته ومشاهداته واستنتاجاته ، وكذا دراسات الأثريين والرحالة والهواة .. مما يعطي لأبحاثه طابعا الشمولية والإحصاء بعيدا عن الدراسة والتحليل ولكنها مهمة لكل من له رغبة البحث في التاريخ المسيحي خلال هذه الفترة

وترك طولوت كتابا تحت عنوان: جغرافية أفريقيا المسيحية

Géographie de l'Afrique chrétienne والذي نشر ما بين سنتي 1892 و 1894 عن دار Notre Dame De Près في أربعة أجزاء خصص الجزء الأول لجغرافية أفريقيا المسيحية في البروقنصلية 1892 والثاني لجغرافية أفريقيا المسيحية في الباصاسين والطرابلسية 1894 والجزء الثالث لجغرافية أفريقيا المسيحية في نوميدا 1894 والجزء الرابع لجغرافية أفريقيا المسيحية في موريطانيا 1894، ويعد هذا الكتاب مهما بالنسبة لدارسي التاريخ المسيحي والكنسي بشمال أفريقيا خلال هذه الفترة .. وفي مداخلتي رصد لأهم ما حوته هذه الأجزاء.

1/ انتشار النصرانية في مقاطعة "البصاصين" (Byzacène) (المذاق):

مقاطعة "البصاصين" أنشئت في عهد "دقلديانوس" وذلك في حوالي 297م أظهرت قائمة " فيروني" (Véron) ما بين سنتي 292 و 297 م في أبرشية إفريقيا سبع مقاطعات كنسية وهي البروقنصلية والبصاصين والطرابلسية ونوميدا السيرية ونوميدا الحدودية وموريطانيا القيصرية وموريطانيا الحدودية، وتحظى هذه المقاطعة بإدارة القنصل، وهي تتموضع ما بين البروقنصلية والطرابلسية وعاصمتها "حدرموت" وتفصلها عنها منطقة "أرزوقس" (Arzuges) المأهولة بالسكان المحليين المراقبين من قبل "دوق" على الحدود

الطرابلسية¹، يحدها شمالا البروقنصلية وجنوبا الطرابلسية وغربا نوميديا، أما حدودها الكنسية فهي تتطابق تقريبا مع الحدود الإدارية ولم تذكر تلك المقاطعة الكنسية إلا في سنة 348م في إشارة إلى مجمع كنسي يكون قد عقد بتلك المقاطعة².

ذكرت المصادر الأدبية أقدم شهوداء تلك المقاطعة بمدينة "حدرموت" (Hadrumetum) -سوسة الحالية- وهو القديس "مافيلوس" (Mavilus) والذي استشهد في 11 ماي 212م وربما كان معه شهيد آخر وهو "ريتيليوس" (Rutilius)³. والذي حاول إرشاء جلاديه للتخلص من الموت ورغم ذلك قتل⁴.

وتذكر الوثائق الكنسية اسم كنيسة لمنطقة تسمى "بوليكاري" (Bolycarbe) تابعة لمقاطعة "البصاسين" شارك أسقفها في مجمع 255م بقرطاج، والذي دعا إليه القديس "قبريانوس" لمناقشة مشكلة إعادة تعميد المرتدين⁵، وذكر نصب عثر عليه

¹ Toulotte (A.), géographie de l'Afrique chrétienne (Proconsulaire), imprimerie Notre-Dame des Prés, Paris, 1894 pp.41-43.

²-Mesnage (J.), l'Afrique Chrétienne évêchés et ruines antiques, éditeur, Ernest Leroux, Paris, 1912.pp.517-518.

³-Id, le Christianisme en Afrique (L'origine développement et extension), Alger - Paris, 1914, p.93.

⁴-Monceaux (P.), H. L.A.C. , T.II , Saint Cyprien et ses temps, éd., Ernest Leroux, Paris, 1902.

p.46.

⁵ -Toulotte(A.),géographie de l'Afrique chrétienne (Byzacène et Tripolitaine),imprimerie Notre-Dame des Prés, Paris, 1894,p.28.

في "أمودية" (Ammaedera) العديد من الشهداء ولكن بأسماء غير واضحة¹. في منذ منتصف القرن الثالث للميلاد تظهر لنا لوائح الأساقفة الحاضرين في مختلف المجتمع الكنسية أسماء مؤسسات دينية مسيحية بمقاطعة البصاسين ومنها "أمودية" و"قابس" (Gabes) و"ثلبت" (Thelpte) و"أونا" (Uppenna)²

وتذكر الوثائق مدينة "كانيانا" الواقعة في مقاطعة البصاسين والتي شارك أسقفها في جمع 393 م وجمع 411 م³. شارك أساقفة مقاطعة البصاسين في جمع "آرل" 314 م بطلب من الإمبراطور "قسطنطين" في رسالته إلى بروقنصل إفريقيا⁴.

وشارك في جمعي 393 م و411 م أساقفة من "أورو سليانة" (Auru Suliana) و"مارازانة" (Marazana) بإقليم البصاسين⁵.

وبلغت عدد الأبرشيات المشاركة في جمع قرطاج لسنة 411 م من مقاطعة البصاسين ثمانين وسبعين (78) أبرشية⁶ لتلك المقاطعة القريبة من البروقنصيلية كان معتبرا، وإن لم يعطينا نظرة عن عدد المسيحيين الذي يبقى مجهولا وغير معروف يخضع للتأويل والتقدير ولا يفرق بين الفترتين الرومانية والوندالية .

2: انتشار النصرانية في مقاطعة "الطرابلسية" (Tripolitaine)

¹-LEBRETON (J.), histoire de l'église, T,2 (de la fin du II^e siècle à la paix Constantienne, Bloud et Gay, Paris, 1948, p.467.

²-Mesnage (J.), le Christianisme en Afrique, ,, p.123 .

³-Toulotte (A.), Byzacène et Tripolitaine, ,, p.70.

⁴-Id, géographie de l'Afrique chrétienne (Proconsulaire), Notre-Dame des Prés, Paris, 1892 , p.56.

⁵-Id, (Byzacène et Tripolitaine), ,, p.58.

⁶-LANCEL (S.), Actes de la conférence de Carthage en 411, T,1, Paris, 1972, pp.183-185.

مقاطعة "الطرابلسية" يحدها شمالا البحر المتوسط وجنوبا الصحراء وغربا مقاطعة البصاسين وشرقا مصر، أنشئت في عهد "دقلديانوس" في الفترة ما بين 285-305م كمقاطعة إدارية.

تتألف "الطرابلسية" من ثلاث مدن رئيسة وهي "لبتيس ماقنا" (Leptis Magna)¹ و"أويا" (Oea) -طرابلس- و"صبراتة" (Sabrata)².

أنها المنطقة الأفقر طبيعيا بالمقارنة بالمقاطعات الأفريقية الأخرى مما يقلل من حركة المعمرين بها، وترك الأمر لعسكرة المنطقة خوفا من تمردات السكان أو العمل من أجل استقطابهم، ومن تلك التمردات ثورة سنة 364م والسنوات اللاحقة التي قامت بها قبائل "الأوستيريانس" الطرابلسية (Austuriens) والتي كانت تجاور "أويا" و"لبتيس ماقنا" وقامت بعمليات النهب والحرق³، كما لا نعرف شيئا عن الاضطهادات التي يمكن أن مست تلك المقاطعة⁴.

¹ "لبتيس ماقنا" أسسها الفنيقيون وكان لها علاقات تجارية مع مدن الغرب، وهي تقع ما بين السيرتين بالقرب من وادي "سينيف" (Cinyphe)، تركزت بناحيها قوة عسكرية بقيادة ضابط مكلف بمراقبة الحدود من هجمات السكان جملها الإمبراطور "جوستينيان" بعد احتلالها للمزيد ينظر،

Toullotte (A.), Byzacène et Tripolitaine, pp.252-253.

²-Ibid, p.11.

³-Cagnat René, l'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie Nationale, E. Leroux, Paris, 1913, pp.76-77.

⁴-Moncaux (P.), H.L.A.C.T.III, (le III^e siècle d'Arnobé à Victorin), éd., Ernest Leroux, Paris, 1905. ,p.35.

إلا أن القديس قبريانوس" يذكر في التقرير الذي أعده بعد مجمع 258 م أساقفة كل من "صبراتة" و"أويا" و"لبتيس ماقنا".¹ كما تذكر اللوائح الكنسية أسماء أساقفة المدن الثلاث سنة 255م وهم:- "ديوغا" (Dioga) من "لبتيس ماقنا" و"بومي" (Pompée) من "صبراتة" و"برميليان" (Primulien) من مدينة "أويا"² وشاركت تلك المقاطعة في مجمع "قبرسوسي" سنة 393م الذي دعا إليه "ماكسيميانوس" لتحريم الجناح البريمياني³. الدوناقي وبقى الغموض يلف التاريخ المسيحي أكثر في تلك المقاطعة، نظرا لندرة المصادر أو إتلافها بعوامل متعددة، وارتباط تلك المقاطعة بالبروقنصلية ثم بالبصاسين مما يجعل الوثائق لا تتكلم عن الطرابلسية إلا داخل المقاطعتين المذكورتين.

وهذا يعني أن المسيحية لم تتغلغل في تلك المناطق التي بقيت على وثنيها نظرا لبعدها عن التأثيرات الرومانية المسيحية القوية، وأحصت "تولوت" عدد أساقفة الطرابلسية بثمانية عشر (18) أسقفا ما بين سنتي 255 و411م⁴.

وبذلك فتلك المقاطعة هي أقل المقاطعات الأفريقية التي انتشرت فيها المسيحية وقلها مشاركة نظرا لقلة عدد السكان المستقرين من جهة وبقائهم على وثنياتهم وقلّة عدد المعمرين الرومان كذا الحاميات العسكرية الرومانية مقارنة بباقي المناطق الأفريقية الأخرى.

3: انتشار النصرانية في مقاطعة نوميديا (Numidae):

تعد نوميديا من أهم المقاطعات في إفريقيا الرومانية فهي من أكثرها زراعة وغنى وتحتوي على عديد المدن الكبرى المنتشرة من السهول العليا إلى شمال الأوراس، بل حتى

¹ محمد مصطفى بازامه، "المسيحية في ليبيا"، مجلة الفصول الأربعة، العدد، 4، تصدر عن اتحاد الأدباء والكتاب الليبيين، طرابلس، 1978. ص ص. 32-33.

²-Toullotte (A.), Byzacène et Tripolitaine,,, p.303.

³-Ibid, p.57.

⁴- Ibid, pp.303-304.

المناطق الجبلية تتمركز بها مدن، وتكون تلك المقاطعة قد بدأت تتخلص تدريجيا من حالة ترحل سكانها واستقرارهم أكثر نظرا لسياسة الرومنة¹.

حاولت روما أحكام سيطرتها العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية، من أجل رومنة كل شيء وجعله وبدأت في نشر اللغة اللاتينية في صفوف الجيش والفرق المساعدة والمدارس والتجار والعبيد، والجماعات الفلاحية في المدن الكبرى مثل "سيرتا" وقرطاج و"مادور" (Madaure) وغيرها من المناطق ذات النشاط، وكان من نتيجة ذلك أن ازداد عدد المتكلمين بتلك اللغة، بل ظهر مبدعون بلسانها من أمثال الأديبين "فرونون السيري" (Fronton) و"أبوليوس المدوري" (Apulée)، وأصبحت نوميديا تعرف بالأرض الولودة للمحامين².

ويعتقد بأن اللغة اللاتينية ظلت حبيسة في تلك المناطق المتصلة أكثر بالرومان، في حين أن المناطق البعيدة لم تكن تتعامل بها لعدم الحاجة إليها. ولم تتخلف تلك المقاطعة عن اعتناق المسيحية، إذ ساهمت بشهادتها أثناء حكم الإمبراطور "كومودوس"، واضطهادات سنة 180م، ويذكر "ماكسيم المدوري" (Maxime de Madaure) في رسالة وجهها إلى القديس أوغسطين اسم عبد مات شهيدا مع بداية القرن الثالث للميلاد في "مادور" يسمى "نامفامو" مع مجموعة أخرى من الشهداء، والذين تحولت قبورهم إلى مزارات³.

¹-Gautier (E.F.),le passé de l'Afrique du Nord ,Payot, Paris , 1942,pp, 257-258.

²-Albertini Eugène, l'Afrique romaine, imprimerie officielle , Alger ,1950, pp. 95-98.

³-Augustin (St.), lettre, XVI,2.

وتورد مصادر تلك الفترة مجموعة من الأبرشيات في نوميديا والتي تأسست في محيط مدينة "سيرتا" على الوادي الكبير كأبرشيتي "سيرتا" و"ميلاف" (Milev) و"كويكول" (Cuiculium) -جميلة- وفي حوض سيوس، وفي "وادي المالح" بتيفست، بل امتدت إلى المناطق النوميديّة الجنوبية حيث وجدت سبع أبرشيات في محيط لمبيري و"ماسكولا" (Mascula) و"ثيموقادي" (Thamugadi) و"لماصبا" (Lamasba) و"طبنة" و"بادياس" ¹ (Badias) ²، وهذا في منتصف القرن الثالث للميلاد وسجلت الوثائق أسماء لشهداء مثل "نيفاليس" (Nivais) و"ماترونا" (Matrona) و"سالفوس" (Salvus) من "كالاما" (Calama) و"دينا" (Digna) من "روسيكادا" و"كريسبينا" (Crispina) في تيفست ³.

ووجدت في محيط "هيون" العديد من الأبرشيات والمصليات، التي بقيت آثارها قائمة وترجع إلى عهد القديس "أوغسطين"، مثل أبرشية القديس "إيتيان" (St.Etienne) وأبرشية "ليونتيانا" (Leontiana) والأبرشية الدوناتية وأبرشية "الشهداء الثمانية" ومصلية "العشرين شهيدا" وأبرشية القديس "ثيوجان" (Théogene)، وأيضا أبرشية

¹ "بادياس" اسم لموقع على الطريق ما بين "تيفست" و"لمبيري" إلى الجنوب من الأوراس وفي الصحراء، كان مركزا عسكريا لحراسة الحدود الجنوبية، ولا يبتعد كثيرا عن زريبة الواد الحالة بولاية بسكرة، للمزيد ينظر،

-Toulotte Anatole ,géographie de l'Afrique chrétienne (Numidie), Typographie Oberthur, Paris, 1894,pp.52-53.

²-Mesnage (J.), le christianisme en Afrique,,,p.110.

³ -Lebertron(J) et Zeller (J.),histoire de l'église, T,2,(de la fin du II^e siècle à la paix Constantienne, Bloud et Gay, Paris,1948,p,467.

القديس "جيرفيي" (Gervais) و"بروتي" (Protas) وبازليكا الدوارين¹. وتلك المؤسسات الدينية الكثيرة مردها، لأن حركة الكنائس ارتبطت بأمرين هما الوجود الروماني الكثيف بتلك المنطقة وخلال تلك الفترة، وخصوصا بعدما تنصرت السلطة الزمنية واعتبار المسيحية كديانة رسمية منذ عهد الإمبراطور "قسطنطين"، ونظرا للكثافة السكانية العالية من المعمرين في تلك المنطقة الخصيبة.

الأمر نفسه نجده في مجمع قرطاج المنعقد في سنة 411م لإعادة الوحدة الكنسية، والذي حضره 270 أسقفا من الجناح الدوناتي². دون الأساقفة الكاثوليك ومن نوميديا حضر ممثل عن مائة وسبع (107) أبرشية وحملت القائمة أسماء المشاركين في هذا المجمع من نوميديا مثل "أوبطا" (Optat) من "فسكرا" و"فيكتور" (Victor) من "شولو" (Chollo) و"أفيت" (Avit) من "لماصبا" و"ليكروس" (Licrus) من "ناقراو ماجوريس" (Nigrae Majores) وغيرهم، ممثلين للأبرشيات نوميديا متعددة كباغاي و"الديار السود" و"روسيكادا"³.

ويلاحظ حسب الخريطة المسيحية في نوميديا، أن تلك الديانة تركزت أكثر في المناطق الساحلية حيث ظهرت تجمعات مسيحية في "هيون" و"روسيكادا" و"شولو" وامتدت إلى الداخل كميلاف و"سيرتا" و"تيفست" و"ماسكيلا" و"كالاما" و"تاغاست"

¹-Gsell (S.), les monuments antiques de l'Algérie, T.,2,éd., Albert Fontomoin, Paris, 1901, pp.213-214.

²-Augustin (St.), lettres, XLIII,X,43.

³-Toulette(A.), (Numidie),,pp.355-360.

وغيرها.¹ وفي المنطقة الاوراسية كثيموقادي و"مينا" (Mina) و"المبيري" و"تيبيليس" (Thubilis) وغيرها من المناطق.²

4: انتشار النصرانية في موريتانيا السطيفية:

نذكر أسقفية "سريموسا" (Caramussa) والتي تتشابه مع "سدميسا" (Cedamussa) و"تاناراميسا" (Tanaramussa)، فالأولى يعتقد وجودها بين "شولو" (Collo) و"ميلاف" والأخيرتين يعتقد بأنها مدينتين أسقفيتين في موريتانيا السطيفية أو القيصرية، وتذكر المصادر بأنه بالقرب من الأولى توجد مناجم و هو نفس الأمر بالنسبة للمدينتين الأخيرتين.³ مما يطرح إشكالية التحديد بعمق.

واكتشفت العديد من الأنصاب المسيحية تعود إلى القرنين الثالث والرابع للميلاد في أماكن متعددة و منها موريتانيا السطيفية التي عثر بها على العديد من الآثار المسيحية مثل "عين ترك" (Ain turk) بمنطقة سطيف التي وجدت بها آثار أبرشية، و"بببار أولاد عثمان" ناحية سطيف حيث وجدت آثار أبرشية أيضا.⁴

وعثر على نقيشة تعود إلى سنة 359م بمنطقة "تكستير" (Tixtir) غرب سطيف، تذكر العديد من الشهداء خلال تلك الفترة، والذين استشهدوا بالبروقنصلية ونوميديا.⁵ وذلك كنوع من التقديس لهم⁶، وتعدى ذلك إلى حد تقديسهم والتبرك بهم، ويظهر ذلك في نقيشة مؤرخة في سنة 359م، وجدت في قبر بالقرب من "ستيفيس" تحمل

¹-Monceaux (P.),H.L.A.C.,T,III, p.6.

²-Toulette(A.), (Numidie),,pp.6-7;21.

³-Ibid ,p.113.

⁴-Gsell (S.) , op -cit, pp.162;171;181.

⁵-Monceaux(P.) ,H.L.A.C.,T.,1,p.131.

⁶-Toulotte(A.), (Numidie),,p.131.

تقديسا للقديس "قريانوس"¹ الذي كان قد استشهد قبل سنة من تاريخها، مما يظهر علاقة المسيحيين ببعضهم البعض في أنحاء بلاد المغرب القديم، وتضامهم مع بعضهم البعض.

وإلى الشرق من موريتانيا السطيفية وعلى حدود نويميا وجدت مدينة أسقفية تسمى "مورنس" (Mons)². وإلى الغرب من مدينة سطيف عثر على نقشية تعود إلى سنة 362م تذكر شهيدين قتلا بأمر من الحاكم "ماكسينيان" (Maxinian) وهما من أصل محلي³، وإلى الجنوب من السطيفية وجدت بقايا كنيسة "بزابي" (Zabi) بشيلقة (المسيلة) وتضم مركزا لأسقفية "زابي" (Zabi) و"ماكري" (Macri) (مقرة) و"آراس" (Aras) (تارمونت) ومن أهم أساقفتها "فيلكس" (Filix) الذي يعتقد أنه كان دوناتيا، كما توجد إلى الغرب من مدينة المسيلة بحوالي 25 كلم وفي موقع "خربة الرصاص" بقايا أبرشية رومانية، وفي الحضنة جدت آثار كنيسة بمنطقة "تيمدوت" (Timedout)⁴. كما كانت توجد أبرشية في منطقة "المعاويد" حيث أقيمت القلعة الحمادية، ولكنها تعرضت لهجوم من قبل أسقف "زابي" الدوناتى "فيليكس" والذي قاد مع زميله الأسقف "جورانيوس دي تلاسين" (Jennarius Detlacin) حملة لضرب المؤسسات الدينية الكاثوليكية في المنطقة⁵.

¹-Monceaux(P.), H.L.A.C., T., 1, p.131.

²-Toulotte(A.), (Numidie),, p, 131.

³-Monceaux(P) , H.L.A.C., T., III, (le III ° siècle d'Arnobé a Victorin), éd., Ernest Leroux , Paris, 1905, p.113.

⁴-Gsell (S.) , op-cit., p.308.

⁵-Robert Achille, « Antiquité de la commune Mixte de Maadid », R.S.A.C., N°35 , 1903, p, 66.

وشرقا حملت نقيشة يعود تاريخها إلى 10 سبتمبر 255م ب"طبيناو" (Tubunae) (طبنة) اسم القديس "ميميسان" (Mémésien) مع القديس "قبريانوس" وآخرين من روما ومن إفريقيا¹،

والملاحظ أن تلك المقاطعة غنية بآثار الكنائس مثل "بير الجديد" (Bir Djedid) إلى جنوب الشرقي و"خرية بوعدوفن" (Bou Addoufen) و"خرية الفرايم" (Fraim) التي احتوت على بقايا كنيسة كبيرة وأيضاً منطقة "الحميات" (El Hamiat) و"المحراب" وغيرها من آثار الكنائس². ووجدت نقشية بسطيف كاثوليكية ترجع إلى القرن الرابع للميلاد بالعبارة التالية: - (Natale Domini Gristi VIII Kalenbas Iannarias)³

وظهرت بعض التجمعات المسيحية في موريطانيا السطيفية، وحملت النقوش أسماء بعض الشهداء المحليين في "ستيفيس"، والمناطق المجاورة مثل "ساتافيس" (Satafis) -عين الكبيرة الحالية- التي حملت نقوشاً مؤرخة⁴ في 202م و"سرتي" (Sertei) (خرية قويدره) 211م "ستيفيس" في 214م⁵ ونقيشة أخرى بقلال جنوباً.

5: انتشار النصرانية في موريطانيا القيصرية:

بعد سنة 40م أصبحت موريطانيا موريطانيا (Maurétanie) هي الجزء الأخير من أفريقيا الذي خضع للاحتلال الروماني سنة 40 م في عهد الإمبراطور "كاليغولا"

¹ -Toulotte(A.), (Numidie),,p.320.

² - Gsell (S.) , op-cit., pp.181-231.

³ -Monceaux(P.) ,H.L.A.C.,T.,IV, p.458.

⁴ -Id ,H.L.A.C.,T.,III,p.6.

⁵ -Février Paul-Albert, « Aux Origines de Christianisme en Maurétanie Césarienne »,in M.E.F.R.A ., T ,98 ,Nº,2,1986.p.769.

(Caligulla)، والذي جعل منها إقليما رومانيا وقسمه بعد ذلك إلى إقليمين: موريطانيا القيصرية والطنجية، وتمتد مقاطعة موريطانيا بأقسامها من نهر "لماسجا" (Lamasga) . الوادي الكبير، والحصنة شرقا حتى المحيط الأطلسي، وبقي الإقليم كذلك حتى قيام الإمبراطور ماكسيميان (Maximian) بإخضاع قبائل الحلف الخماسي سنة 290 م، وأعاد تقسيم موريطانيا إلى قسمين القيصرية والسطيفية أما الطنجية فألحقت بمقاطعة "اسبانيا" في إطار إعادة التنظيم التي باشرها الإمبراطور "دقلديانوس"¹.

وبدأت روما تتوغل في موريطانيا القيصرية بعد احتلال شمالها، وسيطرتها على المناطق الخصبة التي ألحقتها نهائيا بروما، وخوفا من هجمات سكان المناطق المجاورة. وأقامت خط الليمس في موريطانيا في عهد الإمبراطور "سيبتيموس سيفيروس" ما بين سنتي 198 و201م، والذي ركز العديد من الفرق العسكرية بقيصرية "شرشال"². وتحالفت القبائل مع بعضها في إطار ما يعرف بالحلف الخماسي¹ ومع قبائل أخرى مثل "البوار" (Bavars) والتي تتواجد بأوزيا وبمناطق أخرى من موريطانيا وتحكمها حدود إدارية لأنها قبائل رحل².

1 Toullotte(A.) la Maurétanie,,,pp.7-10

²شرشال "أيول" القيصرية (Caesarea) يحتمل أن اسمها يعود إلى الفينيقيين، إذ تم العثور فيها على العديد من المعالم والنقوش البونيقية، وكانت تدفع الجزية لقرطاج، كما حوت على نقوش وقبور يحتمل أنها بونيقية، وكانت عاصمة الملك الموري "يوبيا" ثم أعطاها "القيصر أوغست" اسمه لتتسمى بالقيصرية، للمزيد ينظر،

-Gsell (S.), Fouilles de Gouraya (sépultures puniques de la côte algérienne), Editeur Ernest Leroux , Paris, 1903, pp.49-50 ; Toullotte (A.) la Maurétanie,,,pp.23,24.

وعليه كان الجبلي والأفريقي يرفع عناده ضد المحتلين، وتجلى ذلك بأكثر قوة في موريطانيا وفي نوميديا، منه في البروقنصلية، بدليل أن هؤلاء الرافضين قد ثاروا في منطقة موريطانيا القيصرية بعد قرن من الاحتلال³.

فضلا عن ذلك نجد أن المعلومات المتعلقة ببداية الانتشار المسيحي بتلك المقاطعة يسودها الكثير من الغموض، نظرا لقلّة الوثائق وتناقضها في الكثير من المرات، فمثلا تذكر لنا الوثائق اسم أحد أساقفة مدينة مجاورة للقيصرية باسم "فورتوناتوس" (Fortunatus) وتذكره في أخرى باسم "إفيلبيوس" (Evelpius)⁴.

ولا شك أن تلك النقوش تبين الانتشار المسيحي الذي وصل إلى تلك تعد "تيازة" غنية بالأبرشيات المدنية والأبرشيات المقدسة⁵. الموجودة بالمقابر كما توجد بها كنيستين،

¹ قبائل الحلف الخماسي (Quinguegentanei) و هي اتحاد لخمس قبائل تتمركز ما بين بجاية و دلس أي ما بين جرجرة ولساحل، وتتألف من القبائل التالية: "الماسينيسنس" (Masinissenses) وقبيلة "التيندنسس" (Tyndenses) وقبيلة "إيسافلنس" (Isaflenses) وقبيلة "جبالي" (jubaleni) وأخيرا قبيلة "جيسالنس" (Jesalenses) وهي قبائل رعوية متنقلة شكلت تهديدا مستمرا للاحتلال الروماني للمزيد من المعلومات ينظر ،

-Cagnat(R.), d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les l'armée romaine

empereurs , imprimerie Nationale, E. Leroux , Paris , 1913.,p.62-63

²-Toulotte(A.), Numidie,,p.51.

³-Courtois(Ch.),les Vandales...p. 124.

⁴-Février Paul-Albert, op-cit ,p.793.

⁵-Heurgon Jacques ,Nouvelles recherches a Tipaza ville de la Maurétanie Césarienne, in M,A,N, T .7 ,1930 , p.93.

وأخرى مكرسة للقديسة "سالصا" والتي بنيت على شرفها وأقيمت على معبد يهودي قديم، والذي أقيم بدوره على معبد وثني¹.

وكنيسة "تيازة"²، كانت قائمة في عهد الإمبراطور "جوليان المرتد" في النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد،³ وتوجد على تلة في الجزء الغربي للمدينة تحتوي على تسعة صحنون وبها أفنية مستقلة.⁴ ومن أبرشيات تيازة نجد أبرشية الأسقف "الاسكندر" وتقع في المقبرة الغربية لتيازة، وتوجد بمقبرة أيضا أبرشية بالجزء الغربي للمدينة بطول 9.50 متر وعرض 4.90 متر⁵.

وفي "تقزيرت"⁶ توجد الكثير من المعالم المسيحية ومنها كنيستين¹، وأبرشية مزودة بقناة مائية بطول 15 متر ومعمودية تعود إلى بدايات المسيحية ومزودة بقناة مائية²، وغير بعيد

¹-Gsell (S.), les monuments, T,II, pp.113-121.

² تعتبر كنيسة "تيازة" الأكبر في أفريقيا بطول 52 متر وعرض 47 متر، وهي مقسمة إلى سبعة صحنون وبها صفيين من الأعمدة ويحيط بالكنيسة سور خارجي مربع، وسلم لصيق بالجدار و صالتين مابين الأعمدة الحاملة للسلم وبها معمودية، وتجاورها مجموعة من الفيلات المنعزلة للمزيد ينظر، -Lassus Jean, «Autour des basiliques chrétiennes de Tipasa». In: *Mélanges d'archéologie et d'histoire*, T.47, 1930. pp. 222-232.

³-Optat, II,19.

⁴-Gsell(S.), « Fouilles de Bénian (Alamiliaria)», publiées sous les auspices de l'Association historique pour l'étude de l'Afrique du Nord. éd., Ernest Leroux, Paris, 1899, p.17.

⁵-Id, les monuments, T.2., pp.334-337.

⁶ تيقزيرت (Tigzirt)، آثار لمدينة تحتوي على الكثير من المعالم أغلبها يعود إلى الفترة المسيحية التي التي تتركز في الجزء الغربي باتجاه "رأس تدلس" (Cap Tedles) تبعد ب 28 كلم عن دلس شرقا، و من موقع "تاكسبت" (Takasebt). للمزيد ينظر، -Toulotte(A),la Maurétanie,, p. 94-134.

بعيد عن تيقزيرت يوجد موقع آخر وهو موقع "روسوكوري" (Rusuccuru) والذي يحتوي أيضا على آثار مسيحية ومنها كنيسة كبيرة بطول 38 متر وعرض 18 متر³، وأبرشية بالجزء الجنوبي وربما كانت كنيسة مهمة، وهي ذات شكل منحرف بطول 25 متر وعرض 13 بالإضافة إلى العديد من القبور المسيحية⁴. أما موقع "تاكسبت" فيحتوي على آثار أبرشية بطول 10 أمتار وعرض 8 أمتار⁵. وغربا تتكرر اسم أبرشية الأسقف "اسكندر" ب"كاستيلوم تينجيتانوم" - الشلف - كواحدة من أهم الأبرشيات في المنطقة، وقد يكون هذا الأسقف هو أول من أدار أسقفية "تيبازة"⁶.

6: انتشار النصرانية في موريطانيا الطنجية:

إن معلوماتنا حول تاريخ المسيحية في موريطانيا الطنجية نادرة نظرا لقلّة المصادر وعدم ذكرها لتاريخ المسيحية بتلك المنطقة التي ألحقت بمقاطعة اسبانيا منذ سنة 297 م وحتى 430م ولم تتكلم المجامع الكنسية على أساقفة تلك المنطقة⁷. وأقدم ذكر للمساهمة "طنجي" (Tingi) في التاريخ المسيحي يعود إلى شهداء أثناء اضطهادات "دقلديانوس" وهما "مارسيلوس" (Marcellus) قائد المائة و"كاسيانوس" (Cassianus) كاتب بالمحكمة وهما من الحاميات العسكرية الرومانية ولا ينتسبان إلى

¹-Gsell (S.), les monuments, T,II, pp.113.

²-Pierre GAVAILT, les ruines roumaines, éd., Ernest Leroux, Paris,1897,pp.86-89.

³-Gsell (S.), les monuments, T,II, pp.262.

⁴-Pierre GAVAILT, les ruines roumaines, éd., Ernest Leroux, Paris,1897., pp.97-103.

⁵-Gsell (S.), les monuments, T,II, p.263.

⁶-Toulotte(A),la Maurétanie,,,p.168.

⁷ - Mesnage (J.) , L'Afrique chrétienne, , 1912,pp. 9-10.

جماعة مسيحية أهلية¹، وتحوم شكوك حول انتساب هذين الشهيدين، يذهب الكاتب ر. توفنو (R.Thouvenot) إلى أن الشهيد "مارسيلوس" من أصل إسباني وأن الظروف هي التي ساقته لكي يستشهد بطنجي في حين أن الثاني من "طنجي"². وينفي "تولوت" وجود أي أسقف لطنجي أبان الفترة الرومانية، رغم وجود آثار يحتمل أنها لكنيسة في "طنجي"³ التي كانت تابعة لدوقية إسبانيا منذ عهد الإمبراطور دقلدياوس⁴ ورغم أنه عثر على العديد من شواهد القبور، بنواحي المدينة وتتكون من ثلاثة نصوص⁵، وتم تأريخ اثنين منها بالقرن الرابع للميلاد⁶. وعثر على آثار لبنانية بموقع بموقع "ليكسوس" ذهب الاعتقاد إلى أنها كنيسة ويمكن أن تؤرخ بين القرنين الثالث والسابع للميلاد⁷ في حين أن "توفنو" يعتقد بأنها تعود إلى نهاية القرن الرابع للميلاد⁸. ويذكر "تولوت" اسم أربع كنائس بموريطانيا الطنجية وهي: "طنجيس" (Tngis) و"فاس" (Fez) و"مروك" (Maroc) و"سبتة" (Sebta)

¹-Id, le Christianisme en Afrique ,,, p.130.

² -Thouvenot (R.), Les origines chrétiennes en Maurétanie tingitane, R.E.A,T,71, 1969, p.360.

³ - Euzennat(M.) , édifices chrétiens en Maurétanie Tingitane ,A.AF, T,8 , 1974, pp.187-190.

⁴-Toulotte(A.) la Maurétanie,,,p.6.

⁵ جيزوم كركوينو، المغرب العتيق، تر.، محمد النازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2008، ص.424.

⁶-Thouvenot (R.), Les origines chrétiennes en Maurétanie tingitane, R.E.A,T,71, 1969,p.366.

⁷-Euzennat(M.) édifices chrétiens en Maurétanie Tingitane,A.AF, T,8 ,1974, p.179.

⁸-Thouvenot (R.),op-cit,p.368.

إن الحديث عن قوة انتشار المسيحية في بلاد المغرب القديم يعود إلى الفترة التي أعقبت عصر الاضطهاد الدقاديانوسي، وخاصة بعد تنصر السلطة مع بداية القرن الرابع الذي عرف تكثيفا لبناء الأسقفيات والملاحظ أن تطور تلك الديانة كانت أكثر في نوميديا وموريطانيا السطيفية، وعرفت اضطهادات في القرى الرومانية ولم يتم تسجيل ذلك في مناطق الأهالي وظلت القبائل الأهلية على وثنيها، أما المترومنون وبعض سكان المدن فوجد منهم مسيحيون إما القبائل التي لم تحتك بالرومان فلم تتدين بغير الوثنية¹.

ومن خلال بحثنا في تلك المنطقة نجد بأن المسيحية بموريطانيا الطنجية ظلت قليلة الانتشار وأن تاريخها يكتنفه الكثير من الغموض في غياب مصادر نقوشية ونصوص واضحة، وأن كل ما عثر عليه إنما يخضع لفكرة التأويل من طرف الباحثين الأوربيين الذين كان لهم السبق في الاتصال بتلك المصادر وقراءة بعضهم لها قراءة مزاجية -حسب رأينا- وأن هناك خلط بين الفترة الرومانية والفترات اللاحقة حول تاريخ تلك الديانة.

الخاتمة:

يعد طولوت أحدا من القساوسة الفرنسيين الذين استفادوا من وظيفتهم الدينية في رصد الكثير من المواقع الأثرية المسيحية في الشمال الإفريقي بهدف تبيان مسيحية المنطقة اعتمادا على ملاحظاته ورحلاته في المنطقة، واعتمادا على الدراسات السابقة و كتب الرحالة والهواة والقساوسة.. وإن عد ما كتبه القس طولوت مهما في التاريخ الأثري المسيحي إلا أنه يؤخذ بعين الحذر للدارسين المتخصصين في ظل ذهاب الكثير من المعالم التي تعرضت للنهب و الطمي والنسيان.

¹-Dominique Arnauld, Histoire du Christianisme en Afrique , les sept (7) premiers siècles, éd., Kantada , Paris, 1996,p.86.